

المكايون

بقلم

دكتور فتواد حسين

أو « الحشموناييم » أسرة يهودية لعبت دوراً خطيراً جداً في أحداث الشرق الأدنى التاريخية في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد . أما لفظ « مكاي » فقد يكون لقباً بمعنى « فاذا المطرقة » حشمونا « Asmonaios أو هو اسم الجد الأكبر « شمعون حشموناي » المؤسس الحقيقي لهذه الأسرة التي توارث أفرادها الملك وجملت من لفظ « حشموناي » لقباً لسائر ملوكها ابتداءً من « أريستوبول Aristobul » حتى آخرهم « أنتيجونوس Antigonus » وقد مهد لظروف هذه الأسرة في التاريخ « يهودا المكابي » مؤسس الأسرة اليهودية الأولى إبان قيام المعبد الثاني أعني الفترة الممتدة من عام ١٤٠ حتى ٣١٧ ق . م . سائراً في الطريق الذي أعده « متباس » وابنه يهوذا من قبل .

ولمسل الحدث الهام الذي عاون على ظهور هذه الأسرة المكابية هذه الحرب الحاطفة التي قضى بها الاسكندر المقدوني على الدولة الفارسية فبسط سلطانه على آسيا الصغرى وسوريا وفينيقيا كما استولى على « صور » بعد حصار دام سبعة شهور وغزه بعد شهرين أو أكثر قليلاً (أغسطس ونوفمبر عام ٣٣٢ ق . م) ثم مصر بعد دولة يهوذا حيث خرج عدد كبير من اللاويين والسكينة واستقبلوا الاسكندر مبايعين مقدمين له فروض الولاء والطاعة وعلى رأسهم كبير السكينة « يدوا » وحفيده شمعون . وتحدثنا القصة أن الاسكندر لما استقبل هذا الجمع تحققت رؤية رآها في مقدونيا مفادها أن الكاهن الأكبر وصحبه سيستقبلونه ويبايعونه وهكذا نجد أن أول لقاء بين اليهودية واليونانية كان لقاء موفقاً بالرغم من أن اليونانية وفدت تفيض قوة وعظمة بينا اليهودية عبرت عن الضعف والاستسلام وأطلق على دولة يهوذا الممتدة

بين جبار لبنان شمالاً ومصر جنوباً (سوريا الجوفاء) *Coelesyrien Andromac os*
تفرقة بينها وبين سوريا العليا وعين الاسكندر « أندروما خوس حاكماً عليها واتخذ
مدينة السامرة عاصمة له .

إلا أن هذا التعيين لم يلق قبولا عند السامريين الذين وجدوا في اختيار السامرة
قاعدة للحاكم اليوناني تكريماً لليهود خصوم السامريين وأعدائهم الألداء ، لذلك
ثاروا على « اندروما خوس » واعتقلوه وألقوا به في النار في ربيع عام ٣٣١ ق.م.
فأثار هذا العمل حفيظة الاسكندر وغضب غضباً شديداً وقرر أثناء عودته من
مصر المبادرة إلى السامرة ليتنقم من هؤلاء الذين سولت لهم أنفسهم اقتراح هذا
الآثم العظيم فقتلهم شر قتله وعين حاكماً جديداً وهو « ميمنون *CoumMe* »
كما اتخذ من مدينة السامرة وطناً للمقدونيين وأمن في احتقار السامريين وبخاصة
لما علم أنهم أعداء لليهود وأغاظه أحسن معاملة اليهود كما أعقد عليهم كثيراً من
المطايا بما زاد في حقد السامريين عليهم .

واشتهر الاسكندر باحترام عبادات وتقاليد الشعوب التي غزا بلادها من اليونان
حتى الهند ومن أثيوبيا إلى بحر الخزر . ففي مصر قدس « أيس » و « آمون »
وفي بابل آلهة الكلدانيين فقد كان حريصاً على قيام دولة عالمية تحت صولجانه
إلا أن منيته عاجلته شاباً وهو يعمل في سبيل تحقيق هذه الأمنية وكان ذلك عام ٣٢٣
دون أن يترك وريثاً لأمله أو أفكاره لذلك عمته الفوضى البلاد التي فتحها ودبت
فيها الخصومات بين قواده وقد كان في استطاعتهم المحافظة على الدولة المقدونية
لو اتحدوا إلا أن الإغانية غلبت على خلفائه فقسمت الدولة للمقدونية إلى دويلات كل
ولاية تحت إمرة حاكم خاص . ففي مصر البطالمة حيث تجدد بطليموس الأول
« سوتير *Soter* » وقد نجح في ضم « سوريا » الجوفاء « كوليسيرين » وإقليم
يهودا إلى مملكته ثم هاجم اورشليم واستولى عليها وساق كثيرين من سكانها أسارى
إلى مصر من بينهم عدد كبير من السامريين .

إلا أن حليف بطليموس واسمه « أنتيجونوس *Antigonos* » كان يطمع في

التغلب على سائر حكام أجزاء الإمبراطورية المقدونية وبيعها بثناً جديداً تحت حكمه
وبعد عدة سنوات قضاها في الاستعداد للحرب نشبت معركة « غزة » في ربيع
عام ٣١٢ ق م . بين ابن « أنتيجونوس » واسمه ديمتريوس Demetrios » وبين
بطليموس وقد أبلى فيها أحد اللاجئين إلى بلاط بطليموس واسمه « سلويكوس
Seleukos » بلاءً حسناً فاعتبر تاريخ موقعة « غزة » بدأ تقويم جديد يعرف باسم
التقويم السلوقي أو اليوناني واتخذته اليهود أيضاً تقريماً لهم واستخدموه زمناً طويلاً ،
وقد اضطر « ديمتريوس » بسبب الهزيمة الفادحة التي لحقت به في غزة إلى الفرار
شمالاً فمكّن المنتصر من احتلال جميع البلاد لكن لم يمض زمناً طويلاً حتى وُجد
« أنتيجونوس » وابنه « ديمتريوس » جيوشهما واستمدوا لشن هجوماً خاطفاً على
بطليموس وقد تحقق للوالد وابنه ما أراداه واضطرا بطلموس إلى التراجع غرب
الحصون القائمة في المدن الساحلية والداخلية مثل « عكا » و « يافا » و « غزة »
و « السامرة » و « أورشليم » حتى لا يستخدمها العدو حصوناً يحمي فيها وظل
حال إقليم يهوذا والأراضي الأخرى التابعة لإقليم « سوريا الجوفاء — كوليسيرين »
مضطرباً عدة سنوات حتى خر « أنتيجونوس » قتيلاً في موقعة « إبسوس Ipsos »
بآسيا الصغرى صيف عام ٣٠١ ق م . إذ التحم فيها بالقادة الأربعة « بطليموس »
و « ليسياخوس Lysimachos » و « كسندر Cassander » و « سيلويكوس
Selenkos » وقد قسم هؤلاء الأربعة الدولة المقدونية فيما بينهم فحصل بطليموس
على مصر والبلاد المتاخمة لها . أما « سيلويكوس » فبسط سلطانه على معظم آسيا
حتى نهر السند وفارس . وهكذا نجد إقليم « يهوذا » يصبح خاضعاً لدولة بطليموس .
أما اليهود في المدن البابلية — والفارسية فقد خضعوا لحكم « سيلويكوس » . وبلغ
من تسامح مصر أن عينت كبير خايمي اليهود في إقليم يهوذا إلى جانب رئاسته
الدينية جاليا للضرائب وحاكماً سياسياً . وأدرك بطليموس الأول أن الاسكندرية
التي أسسها الاسكندر واتخذها لأول مرة الملك المصري المقدوني عاصمة له في حاجة إلى
سكان وقرر ترغيب اليهود من سكان الأقاليم المجاورة في استيطانها مستغلاً حالة

الفوضى والاضطراب التي عمت إقليم يهوذا وما جاوره بسبب حروب « أنتيجونوس » واستقدم عدداً كبيراً من اليهود وأسكنهم الاسكندرية كما ساوى الملك بين هؤلاء اليهود والسكان المقدونيين في الحقوق والواجبات وهكذا نشأت جالية يهودية مصرية ولم تقتصر إقامة اليهود على الإسكندرية بل انتشروا كذلك في مدن مصرية أخرى امتدت حتى إقليم رقة .

وحذا جذو بطليموس في مصر « سولويكوس » مؤسس الدولة السلوقية بخاصة في فارس حيث حصل أيضاً على شمال سوريا وشيد هناك « أنطاكية » حوالي عام ٣٠٠ ق . م . واتخذها عاصمة له وحاول أن يعمرها وغيرها من المدن التي شيدها بالسكان فنقل إليها كثيرين من اليهود فوفدوا عليها رغبة أو رهبة كما جاء بهم من بابل وفارس ومنحهم نفس الحقوق التي يتمتع بها المقدونيون في تلك البلاد .

وهكذا نجد يهودا يستوطنون بلاداً ويتمايشون مع سكان يونانيين مقدونيين ونجد يونانيين مقدونيين يستوطنون بلاداً ويشاركون قوماً من اليهود فقامت على امتداد ساحل البحر الأبيض المتوسط موانئ جديدة وجددت أخرى قديمة تطلق عليها أسماء يونانية وينشط خلفاء الاسكندر إلى تحقيق أمنيته الخاصة بمنزج الشرق والغرب وكان الخلفاء في تخطيطهم هذا يخضعون للوضع والظروف السائدة في الشرق والغرب وأصبح إقليم يهوذا محاصراً من جميع الجهات بسكان يونانيين كما أصبحت اللغنة السائدة في المستعمرات الفلسطينية هي اليونانية كذلك الحال مع الأخلاق والمعادن فضائلها وذرائلها . إلا أن فقر إقليم يهوذا جعله منماً ما إقليماً غير مرغوب فيه كما نظر اليونان إلى يهوده نظرهم إلى النبوذيين وظل الإقليم وسكانه بعيدين عن التطور الجديد الذي طرأ على المنطقة كما أن حياة الاستعباد ومصادرة الحريات وتحديد العبادات والحجر على الأفكار التي يحياها اليهود وقتذاك حالت دون ظهور شخصية قيادية تطلق الحرية المكبوتة وتفك أغلال الكلمة والأمال الحبيسة لذلك نجد اليهودى الخاضع لجميع هذه الظروف يتطلع إلى الخارج منتظراً مجيء « المخلص » الذي يأخذ

بيده من حياة الاستعباد إلى حياة الحرية وهذا « المخلص » ليكون من بابل أو فارس
أو أى بلد آخر . إن وضع اليهودى فى إقليم يهوذا حال دون اتصاله ببلاد
العالم الخارجى وذلك لأن بابل وفارس تخضعان لحكم البيت السلوقى العدو للددود
لبطليموس .

إلا أن الشعب الذى يعتمد فى سبيل خلاصة أو تطوره على غيره فقصيرة ولا شك
إلى الفناء لمعجزه عن خلق مقومات كيانه وتطوره .

وفى هذه الفترة الحرجة فى تاريخ اليهود ظهر « المخلص » المنتظر الذى طالما
انتظره اليهود أعنى « شمعون القانونى » بن « أونياس » الأول والذى ذاعت شهرته
وعلت مكانته فى الفترة الممتدة ما بين ٣٠٠ - ٣٠٠ ق.م. تقريبا وقد كان الخاخام
الأكبر الوحيد الذى ينتمى إلى بيت « يشوع » أو بيت « يصدق » وكرس حياته
للمحافظة على معنويات اليهود كما أعاد بتصریح من الملك الحاكم تشييد أسوار أورشلیم
التي هدمها بطليموس الأول وأهتم كذلك بتوفير المياه للمدينة وبخاصة بمد أن تشدد
اللاويون فى كثرة التمسك والطهارة لإقامة الفرائض الدينية ونجح « شمعون » فى
حفر نبع تحت المعبد وأوصله عن طريق قناة تحت الأرض ببلع « إيتام Etam »
بالقرب من أورشلیم ، وهكذا أمن المدينة غائلة العطش لو حاصرها العدو . وتوفى
« شمعون » وترك طفلين فتاة اقترنت بشخص يدعى « طوييا » وولدا يدعى « أونيا
Onia » (اسم جده) وتمرضت بلاد يهوذا وما جاورها من البلاد لحروب دائمة
بين السلوقيين الثانى والثالث والرابع وبين كل من بطليموس الثانى والثالث فى سبيل
الاستيلاء على « سوريا الجوفاء - كاليبسين » إلا أن - يهوذا وسوريا الجوفاء
ظلنا تابعتين لمصر . وحدث أن « سيلويكس الثانى - كالينيوكس Kallinikos »
حاول تأليب سكان تلك الإقليم على مصر لنزعها منها ونجح فى اتخاذ الخاخام
الأكبر « أونياس الثانى » مساعدا له فامتنع هذا الخاخام عن تسديد الضرائب
التي كان يجيها لمصر وإن كانت فى الواقع ضرائب رمزية فقط تدفع سنويا لبطليموس
فما كان من بطليموس الثالث « اويرجيتيس Euergetes » إلا أن حذر لليهود من

مغية عملهم هذا الذي يتم عن العيصان والانسلاخ عن مصر ، إلا أن نصحه ذهب مع الريح فهدد اليهود بتقسيم إقليم يهوذا وتوزيعه بين عدد من الأجانب وأرسل إلى اليهود مندوباً خاصاً يدعى «أثنيون Athenion» يلتمهم هذا الانذار فاستولت الحيرة على اليهود وحاول يهود اورشليم اقتناع الحاخام الأكبر الإقلاع عن موقفه والمودة إلى صوابه إلا أن «أونياس» رفض التراجع وصمم على موقفه وفي هذه الفترة الحرجة ظهر رجل صلب العود قوى العزيمة اسمه «يوسف» وهو حفيد الحاخام الأكبر الجده «أونياس» وأبوه «طوبيا» الذي اقترن بابنة «أونياس» الأكبر وعارض «يوسف» خاله الحاخام الأكبر والرعييم السياسي في موقفه هذا من مصر ولم يكده يسمع بوصول مندوب بطلميوس حتى سارع إلى اورشليم وهاجم خاله هجوماً عنيفاً لأنه باصراره على عدم دفع الضرائب الرمزية سيعرض اليهود لأكبر كارثة وظل الحاخام الأكبر مصراً على موقفه فما كان من «يوسف» إلا أن طلب السفر إلى الاسكندرية لمرض المسألة على بطلميوس والقيام بدور الوسيط فوافق أونياس على سفره إلى مصر فجمع يوسف اليهود في ساحة البعد وعرض عليهم الأزمة المستحكمة بين خاله وبطلميوس وأحتكم «يوسف» إلى اليهود في تمثله وإتقاده من النكسه التي قد تقضى عليه ومنحه الشعب ثقته ونادى به زعيماً مفوضاً عنه وكان ذلك حوالي عام ٢٣٠ ق.م. فما كان من «يوسف» إلا أن أولم ولية كبرى للمندوب المصري الممثل الشخصي لبطلميوس وهو «أثنيون» وقدم له كثيراً من الهدايا ورجاه أن يبلغ بطلميوس أنه سيحضر قريباً إلى مصر ومعه الضرائب المطلوبة . ولم يكده نائب بطلميوس يترك اورشليم عائداً إلى مصر حتى شرع يوسف في اتصالاته بأغنياء السامريين من أصدقائه ورجاهم إمداده بالأموال المطلوبة فضلاً عن أنه في حاجة إلى أن يظهر في مصر عندما يمثل أمام بطلميوس بالمظهر اللائق فهو في حاجة إلى ملابس فاخرة ومطية بعض الأموال الخاصة لإقامة الولائم . وقد لجأ يوسف إلى السامريين لأنهم كانوا تجاراً وأحسن حالاً من سكان يهوذا الذين كانوا يمشون على الزراعة .

ولما عاد « أثينيون » إلى مصر اتخذ الإجراءات للحفاوة بـ « يوسف » فأعد له القصر استقبالا عظيما كما ازداد بطلميوس اشتياقا لملاقاته والاحتفاء به واتفق وصول يوسف مع الاجتماع العام في القصر الملكي لسائر موظفي الضرائب لتوريد ما جمعه وكان قليلا وقد أدرك يوسف هذا من قبل فضاعف المبلغ المطلوب من اليهود عادة فضلا عن الهدايا الكثيرة فاستولت الدهشة على موظفي الضرائب في مصر والذين كانوا ينظرون إلى اليهود على أنهم فقراء ومعدمون وطالب بطلميوس يوسف بتقديم الضمانات الكفيلة للوفاء بالضرائب مستقبلا فأجابه يوسف أيضا بضمنه خير اثنين في العالم المسك والملك فأعجب بطلميوس بنباهة يوسف وعينه جايبا للضرائب من سائر مدن سوريا الجوفاء (كوليسيرين) وفينيقيا فاستجاب يوسف إلا أنه رجا بطلميوس أن يده ينعو التي جندي عونا له لحماية الأموال ، فحقق له بطلميوس رغبته وهكذا نجد يوسف تحت إمرته جيش يمكنه من أن يكون الحاكم الحقيقي لتلك البلاد وحدث مرة في غزة وغيرها إن السكان اليونانيين امتنعوا عن دفع الضرائب فاستولى يوسف على أملاكهم وصادر أموالهم لحساب ملك مصر .

وظل يوسف في هذا المنصب نحو اثنين وعشرين عاما جمع خلالها ثروات طائلة وسلطانا واسعا وبعد وفاة بطلميرس أويريجيتيس خلفه بطلميوس الرابع « فيلوباتور Philopator » (٢٢٢ - ٢٠٦ ق. م .) فاحتفظ بيوسف وأبقاه في منصبه . وفي عهد هذا الملك دب الضعف في مصر فاتهم الملك السلوقي « أنطيوخوس Antiochus » هذه الفرصة واستولى عام ٢١٨ ق. م . على « كوليسيرين » وساماريا إلا أن إقليم يهوذا وأورشليم وبمحاكمها ابن طوبيا وهو يوسف ظلّا مخلصين لمصر . ثم دار الفلك دورته وعاد النصر محالفا مصر وهاجم بطلميوس فيليبيا تور الخصم العنيد ودحره بالقرب من « نفييا Naphia » واضطره إلى التراجع إلى أنطاكية وعادت « كوليسيرين » ثانية إلى أحضان مصر وهكذا كان هذا النصر المصري نصرا ليوسف أيضا الذي ظل في منصبه حاكما على يهوذا وأورشليم باسم ملك مصر .

وبقاء يوسف في منصبه وعلاقته الحسنة مع مصر ومهارته في جباية الأموال أثر
 كل هذا تأثيرا كبيرا في المجتمع اليهودي إذ أترى ثراء فاحشا وبخاصة أولئك اليهود الذين
 على صلة بيوسف وذهب يوسف بعيدا فأثر أبناء ملته على غيرهم فبينهم جباة للعمال
 وكان كل يحصل حسب هواه فارتفع مستوى الحياة اليهودية وأقبلت الدنيا على
 اليهود . وإذا أضفنا إلى هذا الثراء ما يترتب عليه من أثر بالغ في الروح المعنوية بسبب
 جيش مصر الذي كان هناك تحت أمره يوسف واستغله في سبيل القضاء على نفوذ وسلطان
 السكان الجوثيم أعني غير اليهود من فلسطين وفينيقيين وآومثيين ويونانيين ومقدونيين
 أدركنا مدى الفرور الذي ملأ اليهود لشعورهم بأنهم السادة الأقوياء وليسوا العبيد
 الأذلاء ، فاليهود بانصالحهم بمصر وملك مصر والشعوب الأجنبية الأخرى أداروا
 ظهورهم لمستواهم الوضع فهجروا الأحياء القذرة التي كانوا يحيون فيها إلى منازل
 تحاكي منازل اليونان والمصريين وغيرهم من حيث البناء والزخرفة وقد قتل يهود
 إقليم يهودا وأورشليم كثيرا من ضروب الثقافة عن يهود الإسكندرية الذين استقروا
 منذ قرن أو أكثر في مصر وثقفوا الثقافة المصرية الهلينية وبالغ اليهود في تقليد
 اليونانيين حتى في عاداتهم كما أن الثراء الذي وقع على يوسف جعله لا يتورع عن
 السير في طريق النوايا فضحى بحياته العائلية وأقام الأعياد لإله الحجر اليوناني
 « ديونيوس Dionysus » وذهب انحرف المجتمع اليهودي بعيدا فشك اليهود في
 عقائدهم الدينية وأحكامهم الشرعية مستنكرين صحة الرأي القائل إن الله حرم على
 الإنسان الأخذ بأسباب الحياة والتمتع بمباهجها وكيف يعتبر الله هذا الحرمان تقربا
 إليه وعبادة؟ وهكذا نجد آراء « إبيقور Epikur » القائلة بالتمتع بالحياة
 والأخذ بأسباب الفرح والمرح تجد صدى عميقا في نفوس اليهودا سواء في مصر أو في
 يهودا أو أورشليم . ففلسفة إبيقور هذه والتي يعبر عنها أحيانا بفلسفة دعنا نفرح أو
 « جود يا موس Gaudiamus » قد تكون هي التي نجد صداها في سفر الجامعة
 وغيره من أسفار الحكم والأمثال والنتيجة المحتومة لهذا الانهيار الخلقى وبخاصة في
 أسرة يوسف أن أبناء السبعة من زوجته الأولى وابنه غير الشرعي المسمى

« هيركانوس Hyrkanos » كانوا دائما في نزاع مستمر السبعة ضد الأصغر « هيركانوس Hyrkanos » الذي امتاد على إخوته الآخرين بالشيء الكثير من لذكاء والدهاء حتى أحبه والده وفضله على سائر إخوته وحدث أن رزق الملك بطليموس فيلوباتور بابن هو بطليموس الخامس « إيفانيس Epiphanes » وأوفد حكام الولايات المصرية المختلفة سواء في أفريقية أو آسيا وفودا لتهنئة الملك بوليد الجديد كما أرسل يوسف ابنه « هيركانوس » ممثلا له في تقديم تهنئه إعتقاداً منه أن « هيركانوس » هو خير من يحقق هذه الرسالة وقد نجح الغلام فعلا في سفارته وكسب عطف الملك ووجه فأنار هذا حفيظة أخوته الذين أجمعوا أمرهم على التخلص منه واغتياله فأعدوا له كميناً لتحقيق أميتهم عند عوته إلا أن هيركانوس تصدى لهم مع حرسه الخاص وقتل اثنين من إخوته السبعة واختلف « هيركانوس » مع والده فترك أورشليم وعاد فيها يرجع إلى الإسكندرية .

وحوالي عام ٢٠٨ ق. م . توفي يوسف حفيد ثعمون القانوني وحل محله ابنه هيركانوس لمكاته من ملك مصر فإزداد حقد إخوته عليه فتألبوا عليه واضطر إلى الذهاب إلى الإسكندرية ومن سوء حظه إن ملك مصر الذي كان يقدره ويحبه توفي عام ٢٠٦ ق. م . فانتهاز انطيوخوس Antiochos حاكم سوريا و « فليب » حاكم مقدونيا الفرصة لتقسيم مصر وأملا كما فيما بينهما . وانضم إلى انطيوخوس أبناء يوسف حقا على مصر وأخيهم « هيركانوس » وفتحوا أبواب أورشليم للملوك سوريا فاشتهروا بالخيانة ليهوديتهم وهكذا سقطت بهوذا وأورشليم في قبضة السلوقيين عام ٢٠٢ ق. م . وتعرض اليهود في بهوذا وأورشليم لويلات الحرب والسبي والتشريد هذه الحرب التي اشتملت بين السلوقيين والبطالة . وقد أدت هذه الأوضاع إلى خلق جماعة من اليهود الموالين لليونانية أو الهلينية وكانوا من أغنياء اليهود وعظماهم لتلك كانوا حزبا قويا انضم إليه شخص يدعى « يشوع » وهو ابن الحنوخ الأكبر وكانت ليشوع هذا أو كما تسمى أيضا « يسون Jason » مكانة مرموقة بين رجال الدين فكسب هذا الحزب نورا من الحاخاميين الذين يدعون أنهم من

حلالة هرون كما تزعمه أيضا بعض أبناء يوسف الذين بقوا على قيد الحياة واحفاده
وأبناء طوبيا وتطرف أعضاء هذا الحزب في عدائهم لخصومهم وولائهم للهليينية
فتمكروا للشرعية اليهودية وعادات اليهود وتقاليدهم وذهبوا بعيدا ففكروا في
القضاء على الشرعية ليسهل عليهم كسب اليهود بعد ذلك إلى الهلينية ثقافة وجنسا
وعقيدة اعنى تحويل اليهود إلى يونانيين وثنيين .

وقد عارض هذا الاتجاه عدد من اليهود المحافظين وكونوا الجماعة المعروفة في
التاريخ اليهودي المعقادي « الحسيديم » الذين يعارضون التفكير في تحويل أى
شئ ديني لإيمانهم الشديد بقدسيته ومن زعماء هذه الطائفة « يوسف بن يوحنا »
أحد أبناء أورشليم وكذلك يوسف بن يوعيزر وقد أسس كل منهما مدرسة دينية
أحدهما اهتمت بالشرعية من الباحية النظرية وأخرى من الناحية التطبيقية واحتدم
النزاع بين اليهود التقدميين المؤمنين بالآراء والمذاهب اليونانية الهلينية وبين
الرجعيين المحافظين واستخدم التقدميين القوة في سبيل فرض آرائهم الثورية إبان
حكم « انطيوخوس إيفانيس » (١٧٥ - ١٦٨ ق.م) على سوريا الذي
هالته حالة الفوضى في المجتمع اليهودي فناصر التقدميين دعاة الهلينية على خصومهم
اليهود المتمسكين .

ولم يقف الأمر عندهذا بل رجا أنصار الهلينية للملك منح اليهود الذين اشتركوا
في التدريبات الرياضية اليونانية حق المساوة مع المواطنين أصحاب الحقوق الكاملة
اعنى يصيرون « أنطيوخيين » أو « مقدونيين » أو الحقوق الكاملة للمواطن
الذى له الحق في المشاركة في سائر أوجه النشاط اليونانية العامة وذلك لأن هذه
الألعاب الرياضية اعتبرها اليونانيون وقتذاك واجبا هاما من ضروريات الحياة
والمشاركة فيها تكسب غير اليونانى الحق في أن يتمتع بسائر امتيازات المواطن اليونانى
وقد يصل إلى مرتبة الإشراف وهكذا نجد ساحات الألعاب الرياضية تقام في أورشليم
ويشارك فيها بعض اليهود ، والتدريب على هذه الألعاب الرياضية مثل القفز والمصارعة
وزى القوس وغيرها يتطلب من الذى يمارسها أن يتجرد من ملابسه وهذا يكشف

عورة لليهودى والختان التى يميزه عن سائر الشعوب وهنا يتعرض اليهود الذين يشاركون فى الألعاب الأولمبية إلى سخرية اليونانيين مما اضطر اليهودى إلى إجراء عملية جراحية تخفى ولو ظاهرياً هذا الختان الذى يثبت يهوديته كما أف الشبان الذين كانوا يؤدون بعض الخدمات فى المعبد اضطروا إلى تركها لاهتمامهم بهذه الألعاب الرياضية .

وقد آلم هذا التطور فى المجتمع اليهودى المتدينين منهم إلا أنهم كتبوا غيظهم بالرغم من الحمادى فى الانحراف عن الشريعة اليهودية وبخاصة اشتراك اليهود فى هذه الألعاب وتقديسهم القرابين إبان الاحتفال الأولمبى لإله الألعاب الأولمبية إلا وهو « هيرقليس Herakles » وهذه ولا شك طقوس وثنية وتقديس لصنم من الرخام جعلت الانفجار الثورى قاب قوسين أو أدنى ضد اليونانيين لذلك سارع الملك « أنطيوخوس » ، وهاجر أورشليم ناقماً على اليهود وشريعتهم وسقى أرضها بدمائهم ولم يرحم ذكراً أو أنثى شيخاً أو وليداً ، وإيماناً فى احتقار هذه العقيدة اقتحم المعبد وجرده من كل ما هو عظيم فيه مثل المذبح الذهبى والشمعدان واللوائد وسائر الأواني الذهبية ويلاحظ أن الحاخام الأكبر الذى عينه « أنطيوخوس » ألا وهو مينيلوس Menelaos » كان هو المرشد للملك وقاده إلى هذه الأمكنة ومكنه من الاستيلاء على كنوز المعبد وأدواته وشاع فى ذلك الوقت أن أنطيوخوس شاهد فى الهيكل صنماً لرجل له لحية طويلة يجلس على حمار وفى يده كتاب واعتقد أن هذا الصنم يمثل موسى الذى جاء إلى اليهود بشريعة مستعبدة تبعد بين اليهود وسائر البشر فتنتشر البغضاء والشر وقد وجدت هذه الفكرة طريقها إلى اليونان والرومان الذين اعتقدوا أن اليهود يقدسون فى شريعتهم الحمار . ويذكر عن أنطيوخوس أيضاً أنه شاهد فى المعبد يونانياً ينام على سرير وقص على الملك أنه جرت عادة اليهود أن يأتوا كل عام بيونانى ويطعموه زمناً ما ثم يذبحوه ويأكلوا أمعاءهم كما أنهم يقسمون بكرامية اليونان والعمل على إبادتهم فكانت هذه الشائعات من أقوى الأسلحة التى استخدمت ضد اليهود .

وهكذا بسط الحزن جناحيه على أورشليم مما اضطر اليهود إلى الهرب منها وأصبح الحاخام راعياً بلا رعية ، وقرر (انطيوخوس) تحدى آله إسرائيل والتغلب عليه فأصدر الأوامر إلى سائر المدن اليهودية يدعو اليهود إلى ترك يهوديتهم وعبادة آلهة اليونان فقط كما طالب باقامة المذابح والنصب والتماثيل اليونانية لتحقيق هذه الرغبة وبالغ انطيوخوس في اضطهاد اليهود فطالبهم بأكل اللحوم التي تحرمها شريعتهم وبخاصة الخنزير .

وتعتمد الشريعة اليهودية على ثلاثة عناصر الحتان ، وتقديس السبت والأعياد ، وأخيراً عدم أكل طعام غير اليهود وكلفت حكومة انطيوخوس موظفيها بضرورة الحرص على مراقبة تنفيذ أوامر الحكومة القاضية بمنع اليهود من مباشرة تعاليم شريعتهم وطقوسهم الدينية وكل يهودى يضبط متلبساً بمخالفة هذه الأوامر يحكم عليه بالاعدام .

وبدأ (انطيوخوس) بالمعبد في أورشليم فأرسل أحد كبار أتباعه إليه فحول الهيكل إلى مكان لمعبادة «زوريس» وقدم خنزيراً على المذبح قرباناً ورش دمه على المذبح وعلى قدوس الأقداس وطبخ لحم الخنزير وصب المساء الذي طبخ به على صفحات العهد القديم أما لحم الخنزير المطبوخ فقد طلب إلى الحاخام الأكبر (منيلوس Meneleos) وغيره من اليهود المتأثرين بالهيلينية أكله . أما التوراة المحفوظة بالمعبد فقد أحرقت لأنها تدعو إلى إشاعة البغضاء بين الناس لذلك طهوها بالنار وحرقتها ثم وضعت صورة (زوريس) على المذبح لتقدم إليها القرابين مباشرة وكان ذلك في ١٧ تموز — يولية — ١٦٨ ق م . وقد وصلنا المزموران ٤٤ و ٧٤ وهما يسجلان هذه المعاملة التي لاقاها اليهود واليهودية ولم يقف الأمر عند هذا فقد أصدر « انطيوخوس » مرسوماً يقضى بإعدام كل شخص يعلن أنه يهودى كما حرم على اليهود أن يطلقوا على أنفسهم يهودا .

* * *

وفي هذا الجو العاصف الداكن ظهرت أسرة اشتهر أفرادها بالثدين والتمسك بالشريعة وأحكامها وهي تعرف بإسم أسرة الحشموناييم او المسكاييم ربهما رجل خط الشيب رأسه وخمسة أبناء فدائمين أعلنوها ثورة عارمة على السكندر والإلحاد وآلوا على أنفسهم إلا أن يذودوا عن عقيدة الآباء والأجداد التي خلفوها لأحفادهم . أما الوالد فيدعى «متيا هو» اى عطية الله ابن يوحنا بن شمعون حشموناي وهو من نسل هرون كان يقيم في اورشليم ولما استفحل فيها الخطب وزاد الاضطهاد هجرها إلى «مودين Modin» الواقعة على بعد واحد وعشرين كيلومترا شمال اورشليم وأخذ وأولاده الخمسة يعملون جادين في رفع معنويات اليهود التي كانت قد انحطت وفقدت كل أمل في استرداد كل ماضع من حرية وعقيدة وكرامة . وكان هؤلاء الأبناء الخمسة يحملون ألقاباً آرامية رنانة مثل (يوحنا جدى) و (شمعون طرسى) و (يهودامكابي) و (اليمازر أفران) و (يونانان أفوس) وقد وجد هذا البيت الحشموناي كثيرين من الأنصار اترابيين في الثأر لأنفسهم ولعقيدتهم وآلوعلى أنفسهم النصر أو الموت وكان هذا هو شعار (متيا هو) .

وحدث أن أحد الموظفين المسكفين بمراقبة اليهود ومعاينة الذين ثبتت عليهم تهمة التمسك بالعقيدة اليهودية والانحراف عن الهلينية واسمه (إيليس Apelles) جاء إلى (مودين) والتقى بـ (متيا هو) وطالبه بوجوب مراعاة الأوامر الرسمية الخاصة بالإقلاع عن اليهودية واحترام الهلينية فأجابه (متيا هو) غير هيب أو وجل (لو آمنت جميع الشعوب التي تقيم في مملكة (انطيوخوس) ملك سوريا بالهلينية وانحرفت عن اليهودية دين الآباء والأجداد فإننى وسائر الأنصار سننزل أوفياء لليهودية وإذا تجرأ يهودى وتقدم إلى المذبح لتقدیس (زويس) سأقتله إلى جوار المذبح وهجم اولاد (متيا هو) بالمدى على (أيليس) وأعوانه وقتلوهم كما هدموا المذبح فكانت هذه الحادثة إشارة الثورة وتحول اليهود من السلبية والاستسلام إلى المعركة، وصاح (متيا هو) : من يؤمن بشريعتنا يتبعنى فانضم إليه سائر سكان (مودين) وما جاورها واعتصموا جميعهم بجبل إفرایم^١ كما انضم إليهم أيضاً نفر من الحسيديم وأخذ عدد أفراد

المقاومة تيزايد يوماً بعد يوم فاندقع متتياهو إلى مختلف الجهات عطمها المذابح الهلينية
وإذا ما التقى بجماعة من الجنود السوريين هاجمهم وكبدهم بمض الحسائر وهكذا
أخذ متتياهو يياشر حرب الكر والفر ضد العدو واحتمى بالجبال .

ولما وافى القدر المحتوم عام ١٦٧ ق. م. متتياهو عين ابنه الأكبر شمعون
مستشاراً — وأسند قيادة الحرب إلى ابنه الصغير « يهودا مكابي » وكان من خيرة
الرجال العسكريين الذين عرفهم الشعب اليهودي . وفي عام ١٦٦ ق. م. التحم
« يهودا مكابي » ولأول مرة مع فرقة من الجنود السوريين تحت قيادة « أبولونيوس
Apollonios » وحالف النصر فيها « يهودا » وقتل أبولونيوس إلا أن ملك سوريا
أنطيوخوس أرسل جيشاً آخر بقيادة هيرون Heron لضرب يهودا وجيشه وكان
جيش هيرون يضم عدداً من اليهود المناصرين للهلينية وأرشدوا جيش « هيرون » إلى
أقصر الطرق وأصلحها للوصول إلى يهودا وما كاد رجال يهودا يبصرون هذا الجيش
حتى دب الرعب في صفوفهم وكادوا يولون الأدبار لولا أن يهودا خاطبهم قائلاً
اذكروا السكنوز الثمينة التي ستدافعون عنها اذكروا أبناءكم اذكروا حياتهم اذكروا
عقيدتنا فكان لهذه العبرات وقع ساحر في نفوسهم وكرواكرة رجل واحد على جيش
« هيرون » عند « بيت هورون » ودحروه وأدرك ملك سوريا أنطيوخوس أنه
أساء تقدير قوة خصومه لذلك عاود التفكير في الثأر لجيشه فقرر التخلص نهائياً من
سائر اليهود المقيمين في مملكته ولتنفيذ هذه الخطة رأى أن يحشد أولاً جيشاً تحت
قيادة « لزياس Lysias » ويسير به إلى يهودا ويقضى عليه وإذا تحقق له هذا النصر
تحول إلى البقية الباقية من اليهود وآثارهم وطهر البلاد منهم نهائياً وفيما يتعلق بأورشليم
رأى أن يهدمها ويزيلها من الوجود ويأتي بجماعات أخرى غير يهودية ويورثهم
هذه البلاد ولم يستن الملك أنطيوخوس من عملية الإبادة هذه اليهود الموالين للهلينية
وله . ولم يكدهم يعلم اليهود بما بيئته لهم أنطيوخوس حتى انقلب خوفهم شجاعة وترددهم
إقداماً وذلك لأنه لم يبق أمامهم إلا الدفاع عن أنفسهم (وساعد على رفع الروح
للعنوية بين اليهود ظهور كتابين هاميين إلا وهما « سفر دنيال » و « سفر استير »

والسفران صدرا عن هينين إسرائيليتين مختلفتين فسفر دنيال وضمته جماعة الحسيديم
الذين يؤمنون بأن المصيبة التي أصابت اليهود حلت بهم بسبب انحرافهم الديني ولو
تابوا وأتابوا فسينصرهم الله فالسفر أقرب إلى الروح الصوفية والإيمان بالمعجزات
منه إلى التاريخ وسير الآباء الأولين .

أما سفر استير الذي يخلو حتى من ذكر اسم الله فقد وضع لغير رجال الدين ،
المؤلف يكتبي بذكر قصة اضطهاد دين في قديم الزمان وفي بلاد فارس ثم انتهت
المؤامرة بانتصار اليهود وهزيمة خصومهم .

ثم نجد « ليزباس » ومساعديه يقودون جيشا قويا ضد يهودا وأخذوا منهم تجار
الرقيق والأغلال لشراء أسرى الحرب من اليهود بعد المعركة وجمع يهودا المكابي
رجالهم واستمدوا للملاقات العدو واجتمعوا أولا لإقامة صلاة وهناك جاءوا بالتوراة
ونشروها بين الجنود وصاح يهودا في رجاله أن « أنطيوخوس » يريد أن يحسب
التوراة ويقضى على عقيدتنا ويحولنا إلى وثنيين فأشعل نار الحماس في صدورهم وقسم
جيشه إلى ثلاثة أقسام وعين على كل قسم أحد إخوته وأعلن أن كل شخص حديث
التأهل أو زرع كرامة أو لا يرغب في القتال فلينصرف حسب تعاليم الشريعة وأقبل
المهلينيون لمهاجمة يهودا المكابي واختار قائد هذا الجيش السوري الليل بظلامه الدامس
وقتنا للهجوم واكتشف يهودا المكابي هذه الخطة فقرر إحباطها وذلك بالانسحاب
ليلا سرا والتف حول العدو وقلب جيشه في ظهره فلما هجم السوريون على اليهود لم
يجدوا واحدا فاعتقد قائد الجيش السوري واسمه « جورجياس » Gorgias إن اليهود
خافوا وهربوا في الجبال وقرر أن يلاحقهم وفي الجبل انقض المكابي على السوريين
من الخلف فأحرق معسكرهم وواصل الهجوم عليهم - ولم يكذب بزغ نور الصباح حتى
تبين جورجياس أن اليهود يهاجمونه من الخلف فأصدر أمرا إلى عدد من جنوده
بالصمود وخوض معركة انتحارية ضد المكابي الذي صاح في جنوده « باسم الوطن
والشريعة والقدسات » أما أخوه الأصغر فأخذ يرتل بعض الآيات من التوراة ثم صاح
« المكابي » الله معنا » وأحرز يهودا نصرا على السوريين عند اماس Emmaus وعاد اليهود

إلى «مودين» مركز تجمعهم ثانية . إلا أنهم توقعوا أن «ليزياس» الذى قد صدر له الأمر بإبادة اليهود قد يعاود الكرة عليهم ثانية وفى خريف عام ١٦٥ ق . قبل «ليزياس» على رأس جيش آخر وعسكر عند «بيت صور» على بعد مسيرة خمس ساعات جنوب اورشليم إلا أنه فضل الانسحاب على الاشتباك مع اليهود فى معركة قد تكون نتيجةها هزيمة تنهى هزيمة موقعة «اموس» وهكذا بعد نحو ثلاثة أعوام ونصف العام منذ اندلاع نيران الحروب بين الطرفين حل نوع من المهادنة وانهزى المكابى وأعاناه هذه الفرصة وانقضوا على اورشليم ليظروها من رجس الجويم فحطموا التماثيل والنصب وكل ما يمارض مع الشريعة وتماثيلها وشيدوا مذبحاً جديداً عوضاً عن الآخر الذى دنسه الجويم كما جاءوا للمعبد بأنية جديدة وقد استترقت عملية التطهير وإزالة النجاسة ثلاثة أسابيع ، وفى صباح ٢٥ كسيليف (نوفمبر ١٦٥ ق م ٥٠) أقيمت حفلات التكريم وطهارة المعبد كما قدمت القرابين وهذا العيد يقام حتى اليوم ويعرف باسم عيد «خنوكا» أى «تقديس» أو تدشين وهو ثمانية أيام يضاء فيه شمعدان أو «منارة» ذو ثمانية أذرع فهو عيد النور ويضاء عادة كل يوم من أيام العيد ذراع «قنديل» تخليداً لذكرى انتصار اليهود على الجويم الوثنيين وقد شارك فى إحياء هذا العيد اللاويون بأناشيدهم وكذلك جميع سكان إقليم يهوذا وأبناء اورشليم الذين وضعوا الأنوار أمام منازلهم رمزاً للتوراة التى يعبر عنها الشعراء اليهود بالنور وقرر الإخوة الحشوناييم فى اجتماع عقدوه مع البقية الباقية من أعضاء المجلس الأعلى إصدار قرار هام جداً للمستقبل ألا وهو اعتبار الأيام الثمانية ابتداء من يوم ٢٥ كسيليف (نوفمبر) أعياد طهارة العقيدة والمعبد .

ولم يقف الأمر عند هذا بل عاد المكابى إلى تطبيق النظام القديم فى المعبد من حيث تعيين الكهنة واللاويين وأقصى الذين انحرفوا واتبعوا الهلينية عن الخدمة وقد نتجت عن هذه المعاملة نتائج وخيمة إذ تجمع هؤلاء المزولون وأخذوا يكيدون للهيئة الجديدة أعنى للحزب الآخر وأدرك المكابيون أن الجويم يستعدون للانتقام والثأر فأخذوا يتحصنون وقد أدركوا أن هناك شوباً أخرى أخذت تنضم وتمتطفه

على السوريين وأخذت هذه الشعوب تتحمل من وجود يهود بين ظهرانيهم وقد أدركوا أن هؤلاء اليهود أخذوا يترصون بهم الفرص لئلا نقوذ المكابيين وتحقيق مطامعهم الانتقامية التوسعية فوجدوا الفلسطينيين في الجنوب الغربي الفينيقيين في الشمال الغربي والعمونيين عبر الأردن كذلك السوريين والمقدونيين وسائر أفراد الجاليات الأخرى تتهدد لمقاومة التوسع اليهودي وأكثر الشعوب حماساً ضد الظلمة اليهودية كان الآدميون في الجنوب وهكذا تطور وضع اليهود وضاع الأثر الذي تركه انتصار المكابيين في موقعتي «إسباروس» و«بيت صور» ولم تتحقق أطماعهم التوسعية في استعباد الجويم والاستيلاء على أراضيهم وأصبح وضعهم شديداً تماماً بوضعهم أيام نبوخذ نصر الذي إنقض عليهم وسبهم لكي يقضى على عنصر المشاقبة والاضطراب في الشرق الأدنى هذا حالهم أيام «انطيوخوس» فقد أصبح اليهود يعيشون في جزيرة في بحر من الأعداء الذين يترصون بهم للتخلص منهم تأميناً لكيانهم ، وقد تحققت هذه المخاوف عندما استمد «يهودا المكابي» لتوجيه ضربة إلى الشعوب المجاورة فهاجم الآدميين في جنوب فلسطين وطردهم من ديارهم وبعد ذلك هاجم الأردن فأدخل للمكابيين العرب في قلوب جيرانه . ولم يكف يراجع المكابيين من حملاته هذه إلى أورشليم حتى علم أو ادعى أنه علم أن اضطهاد الحق يبهض اليهود المقيمين في جهات كثيرة سكانها من الهلانيين أعنى إقليمي «جلعاد» و«بيسان» و«الجليل» و«عكا» و«صور» و«صيدا» وغيرها فقد حدث أن اليهود النازلين وسط اليونانيين أرسلوا إلى المكابيين يطالبونه بالاستيلاء على هذه البلاد بحجة أنهم لا يتمتعون بحريتهم فأوسل «يهودا المكابي» أخاه «شمعون» على رأس جيش صغير إلى الجليل وتوجه هو وأخوه يوناثان إلى الأردن وبقية جيشه وشعبه تحت قيادة قائدين وأرسله إلى غرب إقليم يهوذا لمواجهة الفلسطينيين ونجح شمعون بمحلمته واستولى على الجليل وجمع شمعون يهود الجليل وأجبرهم على الهجرة إلى إقليم يهوذا . أما يهوذا المكابي فقد هزم شرمهزيمة أمام الجيش الأردني الذي كان تحت إمرة قائد سوري يدعى تيموشاوس Timotheos وكان ذلك عام ١٦٤ ق . م . وفر المكابيون وعاد مع من بقي

معه من يهود جلعاد إلى اورشليم وصادف إلى جاء بعد ذلك عيد الأسابيع فاحتفل
 اليهود به ثم خرج يهودا على رأس جيش محاولا الثأر لنفسه من الهزيمة التي لحقت
 به وبقاتديه الذين تركها لحماية البلاد من احتمال وقوع عدوان عليها وذلك لأن
 القائدين أرادوا الحصول على نصر طنان رخيصا على الجيش السوري الذي كانت تحت
 قيادة «جورجياس Gorgias» ومعسكرا في «يمنيا» فدحرمها وأوقع الرعب في اليهود
 عامة لذلك أراد «يهودا» محو آثار هذه الهزيمة أولا ثم بعد أن يتحقق له هذا
 يعود إلى تنفيذ البرنامج الذي أعده لتوسيع رقعة إقليم يهوذا فأخذ يترصد الفرص
 لتنفيذ خطته هذه فاستهزأ الاضطرابات الداخلية في سوريا والإخطار المحدقة بانطيو
 خوس واتقض على الجيش السوري بقيادة «ليزياس Lysias»، واضطر إلى الرضاء
 بالأمر الواقع إلا أن منازعات اليهود الداخلية والحصومات الحزبية وبخاصة تلك
 التي تناصر الهيلينية تعارضها اليهودية المتعصبة زعزعت المجتمع اليهودي وأدرك بهذا
 المكابي أن كفة اليهود الهيلينيين أخذت ترجع وأدرك أن شريعته ومعبدته في مهيب
 الريح فسيج المعبد بسور شامخ وأقام عليه بعض الأبراج للدفاع عنه إذا ماهاجمه
 الجويم واعتقد المكابي أن الفرصة مواتية له لهاجمة الجويم فحاصروهم وأعد العدة
 للقضاء عليهم ونجح نفر من المحاصرين في الهرب والاتصال بالملك السوري الجديد ألا
 وهورانطيوخوس اوبياتور Antiochos Eupator وأخباره عن حقيقة الوضع في
 اورشليم فما كان من الملك إلا أن ارسل حملة لرفع الحصار عن المحاصرين وضرب اليهود
 المتمردين متى سنحت الفرصة وقد سنحت هذه الفرصة وذلك في ربيع عام ١٦٢ ق.م
 وهو عام سبت عام مقدس عند اليهود لا زرع ولا عمل ولا مال والمكابيون يزعمون
 أنهم حماة الشريعة والشعب مضطرا إلى التقشف وعجز المكابيون عن إدخال المؤن
 الضرورية للشعب أو الجنود في القلاع التي يدافعون عنها .

فنقدم القائد السوري «ليزياس» في رفقة الملك الشاب «اوبياتور» على رأس
 جيش قوى أعد لضرب اليهود الضربة القاضية وتخليص الشرق من ويلاتهم وما كاد
 المكابي يبصر هذا الجيش وهذه العزيمة القوية لإبادته إلا وانسحب وحاول الاكتفاء

بالدفاع عن حسى المعبد وبيت صور ألا أن قواته لم تستطع الوقوف أمام الجيش
السورى القوى الذى اقتحم اورشليم واضطر المكابى إلى الوقوف ولم يمكنه الهرب
وهناك عند بيت زكريا بالقرب من بيت صور تلقى اليهود الضربة الأولى فلم يتحملها
المكابى وجيشه فهرب عمتيا بحسن المعبد إلا أن اليهود الذين كانوا فى ذلك الحصن
هربوا عن طريق ممرات سرية وهكذا تعرضت اورشليم لنفس الوضع الذى تعرضت
له أيام نبوخذ نصر لكن شاءت الأقدار أن خلافاً بين « ليزياس » وخصمه
« فيليبوس Philippos » الذى جمع فى فارس وميديا جيشاً أراد به انتزاع أنطاكية
من « ليزياس » فلما علم بهذا اضطر إلى نصيح الملك الشاب بعقد صلح مع المكابى
عن أن يترك « ليزياس » المعبد ويكفل للمكابى إقامة الشعائر الدينية اليهودية ولما
يمض زمن طويل حتى عاد الشقاق ثانية بين اليهود أنفسهم من ناحية وبينهم وبين
الأخوة المكابيين أنصارهم من ناحية أخرى وتزعّم خصوم المكابيون — حاخام
يدعى « يواحيم Joachin (وفى اليونانية) السكىموس Alkimos » وقد استغل
هذا الحاخام وأنصاره استيلاء الأمير « ديمتريوس Demetrios » الذى كان رهينة
فى روما وهرب منها على الحكم وشرح له « يواخين » كيف أن السلام لن يخل
بالشرق ما لم يتخلص نهائياً من المكابيين والحسيديم مصدر الشر والفتن وأعداء
السلام فاتهنز « ديمتريوس » هذه الفرصة ليفرض سلطانه على اليهود ويخلص الشرق
من ويلاتهم وهكذا نجد « ديمتريوس » يسير فى طريق عمه من قبل إلا أنه لم يتعرض
للدين بل عين حاخام أكبر جديداً لجمع البلاد ومنحه علاوة على السلطة الدينية سلطة
أخرى سياسية وإدارية وتنفيذ هذا القرار أو كل إلى رجل عسكري جبار يدعى
« باكثيديس — Bakchides » وأمدّه بقوة عسكرية صغيرة وسيرة إلى اورشليم
فلم يكدهم الأخوة المكابيون وأنصارهم نبأ وصوله حتى لاذوا بالفرار إلى الجبال
إلا أن الحسيديم رفضوا الهرب مع المكابيين اعتقاداً منهم بأن الحاخام الأكبر من
نسل هرون لذلك أقبل الحسيديم وكثيرين غيرهم على « بكديس » و« السكىمدوس »
وأعلنوا ولائهم للنظام الجديد والمحافظة على السلام واستقرار الأمن وقد انضم إليهم

أعضاء المجلس الديني الأعلى « إلا أن الأمور تخرجت ثانية ونشبت حرب أهلية بين الطرفين عام ١٦١ ق.م. واتهمز « ديمتريوس » هذه الحصومات وأرسل جيشا تحت قيادة « بكتيديس » فطارد « يهوذا المكابي » في كل مكان حتى اضطره إلى أن يخوض المعركة فالتقى بـ « بكشيديس » في أبريل عام ١٦٠ ق.م. عند ميت ذيتا وسحقه وجيشه وسقط المكابي مدرجا بدمائه وبذلك انتهت أسطورة المكابيين التي كان شعارها « أن دماء الشهداء نشفي الجروح » .

عصر الامراء الحشموناييم (١٦٠-١٤٣ ق.م)

لم يكده « يهودا مكابي يفارق الحياة حتى أحاطت السكوارث باليهود من كل ناحية فهددته المجاعة وحطمته المشاحنات الداخلية وفي هذه الظروف حاول الأخوة الحشموناييم وهم يونانان وشمعون ويوحنا « اتقاذا لليهود من هذا الانحلال وتلك الفوضى التي تردوا فيها مع محاولة وقف تقدم الهلليين وأتباع « بكشيديس » إلا أن كل هذه الجهود ذهبت مع الريح .

فقد لجأ الحشموناييم إلى تكوين حزب قوى يستطيع الصمود في وجه الحزب الهلليين وحاول كل فريق الفتك بالآخر متى سنحت له الفرصة بالرغم من أن الهللية كفلت الحزب الحشموناييم حرية العبادة وتأدية الطقوس الدينية واحترام المقدمات إلا أنهم بالرغم من ذلك ظلوا يحقدون على الهلليين ويتربصون بهم الدوائر فقد عجزوا عن التخلص من غريزة الحقد والايقاع بغير اليهود أعنى بالجويم فاليهود يبنضون عادات وتقاليد غيرهم ويذهبون في بنفضهم بعيداً حتى أنهم ينكرون على غيرهم الكفاءة والنبوغ هكذا تأمر التوراة وقول سراحها في الجمارا والتعود لذلك علق الحشمونايين كل آمالهم في تحقيق أوامر الشريعة التي تأمر بعدم الاشارة بفضل الجويم ولا تمنحهم اقامة على الأرض وتحرم على اليهودى أن يبيع للجوى شيئاً ثابتاً في الأرض لكن يجوز البيع إذا هدم ما على الأرض ويقول ربى يهوداً يجوز البيع لغير اليهودى بشرط الهدم والازالة كما تحرم حتى الحديث عن جمال غير اليهودية أو اليهودى « على المكابي « يونانان افوس Jonathan Aphus » ويذهب الحشموناييم بعيداً فيرجون منه ابادة اليهود الهلليين لكي يحل السلام بالبلاد وكان « يونانان » أضعف من أن يواجه « بكشيديس » إذ لم يكده وجيشه والحشموناييم يلتقون بـ « بكشيديس » حتى هربوا إلى غابات الأردن ومن ثم حاولوا تهريب النساء والأطفال إلى قبيلة نبطية صديقة فالتقى « بنى عمرى » حلفاء السوريين بهم

فشكلوا بهم شر تكييل وبقائدهم « يونانان » بينا نجد « بكشيديس » بنقض على اليهود المختبئين في أحراش الأردن فيولون مذعورين إلى نهر الأرن ملتسيين النجاه بين أمواجه فيبتلع من يبتلع ولم ينج من أمواجه الصاخبة إلا النفر القليل . وأستولى الجيش السوري بقيادة « بكشيديس » على سائر تلك الإقاليم كما أنه ظل يطارد اليهود حتى أنهمكهم فكانوا لا يفروا من هزيمة إلا تتلقفهم أخرى وأخرى وأخيراً جمع القائد السوري أولاد أعيان اليهود وأخذهم رهينة . وهكذا نجح الجيش السوري عام ١٥٩/١٦٠ ق.م. في تحقيق خطته الخاصة بالقضاء على الكيان اليهودي جيشاً وشعباً كما استأصل شأفة الحشموناييم وساد السلام البلاد عامين ١٥٩ - ١٥٧ ق.م.

إلا أن اليهوديين الحشمونيين (يونانان) و (شمعون) غدرا وقررا التدير لحرب أخرى فأنجها إلى واحة في صحراء (أريحا) بالقرب من الأردن وحيث توجد هناك غاية ونبع ماء فضلا عن أن نهر الأردن يتستخدم خطا للدفاع لهما من جهة الخلف في حالة الهجوم عليهما أو ملاذا به عند الهزيمة والتقى بهما لجيش السوري بقيادة « بكشيديس » فهزم جيشهما وأبرم معهما صلحاً على أن يقدم « يونانان » رهائن من اليهود لبكشيديس ولا يدخل أورشليم . ومن عجائب الصدق أن ظهر في تلك الفترة شاب في أزمير يدعى (الكسندر بالاس Al palas) واستقله (اتلوس Attalus ملك (برجاموس Pergamos) ليحمل منه منافساً خطيراً للملك سوريا «ديمتريوس» فاتصل بالحشموني يونانان وأغراه ليكون حليفاً له وطلب إليه أن يعد جيشاً ويعاون الكسندر مقابل الأفراج عن الرهائن اليهودية التي في قبضة السوريين فسارع يونانان إلى أورشليم واستولى عليها وحصنها بمساعدة (الكسندر بالاس) وبالغ الكسندر في سبيل كسبه نهائياً إلى صفه فأهداه معطفاً قرمزياً وتاجاً من الذهب وعينه الخاخام الأكبر واستقل يونانان عيد الظلال عام ١٥٢ ق.م. ودخل المعبد وأعلن نفسه حاخام أكبر فكان أول حشمونائي يبلغ هذه المكانة وهكذا احتفظ بها البيت الحشمونائي زمناً طويلاً وظل يونانان حاكماً تسع سنوات « ١٥٢ - ١٤٤ ق.م. » كانت سنوات

تقدم واتعاش لليهود لأنه عرف الجانب الذى يحالفه النزاع القائم حول العرش السورى أعنى (الكسندر بالاس) ضد (ديمتريوس) ملك سوريا الذى حاول جاهدا إصلاح ذات البين بين العرش السورى وبين اليهود فبالغ فى مراعاة شعورهم الدينى حتى حرم استدعاء اليهودى للتقاضى أو التحقيق معه فى الفترة الممتدة بين ثلاثة أيام قبل العيد وبعده وكذلك يوم السبت وبالرغم من كل هذه المعاملات الحسنة أخذ (يونانان) — الحشمونى جانب «الكسندر بالاس» وعاونه حتى تم له الانتصار على «ديمتريوس». وجلس «الكسندر بالاس» على عرش الملك طوال الفترة الممتدة من ١٥٢ إلى ١٤٦ ق. م وفيها حقق اليهود توسيع رقعة بلادهم أعنى إقليم يهوذا على حساب البلاد المجاورة وقد أدى هذا الوضع الجديد للكلية السورية واقتسامها بين «الكسندر بالاس» و «ديمتريوس» الثانى إلى أحداث فتنة بين السوريين أنفسهم فريق يدين بالولاء للكسندر بالاس وآخر لديمتريوس وانهز اليهودى يونانان هذا الظرف وقرر التخلص من الحزب المعارض أعنى الحزب اليهودى التقدمى المتأثر بالثقافة الهلينية فهاجم هؤلاء المعارضين فى عكا وحاصرها فطلب يهودها حماية الملك السورى ديمتريوس الثانى ، فما كان من اليهودى يونانان أن غدر بحليفة الكسندر بالاس وقصد «ديمتريوس» وقدم له كثيرا من الهدايا ونجح فى كسب ثقة الملك ديمتريوس حتى عينه حاكما أكبر وأخذ ينصب شباك الحليل ويوسع رقعة إقليمية حتى لم يبق أمام «ديمتريوس» الثانى إلا أن يعمل للتخلص منه فوصى أحد قواده إلا وهو «ديوبوتوس تريفون Diobotos Tryphon» بتدبير خطة للقضاء عليه فما كان من هذا القائد إلا أن غرر بيونانان واصطحبه وجيشة إلى عكا وهناك أنقض عليه السوريين فأوقع بالجيش اليهودى هزيمة ساحقة ووقع يونانان فى الأسر . أما الابن الحشمونى الباقى على قيد الحياة ألا وهو «شمعون» فلم يكذب يسمع بنجر هذه الهزيمة وأسر يونانان حتى بادر إلى الاستعداد للدفاع عن أورشليم إذا ما هاجمها القائد السورى «تريفون» Tryphon

وقرر تريفون أن يلجأ بالإبقاء على يونانان حياً لعبة تخدم سوريا وسائر الأقاليم المجاورة وتقضى نهائياً على الخطر اليهودى فأعلن « تريفون » أنه اعتقل « يونانان » ضماناً لتحصيل الضرائب المستحقة على إقليم يهوذا للخزينة الملكية فإذا ما سدد اليهود هذه الأموال وقدموا الابن الاثنى لليونانان رهينة لاستتباب السلام فإنه ولا شك سيطلق سراحه وهكذا نجد « شمعون » إناذا لحياة أخيه يونانان يرسل المال وابنى يونانان إلى القائد السورى « تريفون » وبعد ذلك أمر (تريفون) بإعدام يونانان عام ١٤٣ ق م . فاخفى شمع هذه الأسرة ألحشمونائية من الوجود سياسياً لفترة ما وإن كان بعض أرماء هذا البيت ظل يقوم بدور ثانوى فى الحياة اليهودية فى فلسطين .

وإذا تركنا فلسطين واتجهنا إلى مصر لنعود إلى فلسطين ثانية وجدنا وطن الفراعنة لا يزال يرسل شماعه الروحى على سكانه والمستعبرين به أن مصر وطن موسى والتوراة والبقيدة اليهودية لا زالت مصدر التوجيه العقائدى اليهودى إبان عصر الحكم اليونانى إذ كانت مصر مأوى ومهجر اليهود فقد انتشر لليهود فى كنانة الله وجالهم وقدذاك حالهم أيام الآباء الأولين الذين وفدوا على مصر وتكاثروا فيها وتمتعوا بجميع الحقوق التى يتمتع بها المصريون واليونانيين وفى مصر تركز اليهود فى الإسكندرية خاصة كما اهتموا بطرق النقل البحرى واعتمد الرومان على الحاصلات الزراعية المصرية فاهتم اليهود بتجارة الحبوب وبيعها لروما ونقلها على السفن اليهودية فتجمعت ثروة التجارة والنقل فى يد اليهود فازدادوا ترفاً وأبهة كما اهتموا بثقافة اليونانية والمعلوم فكان يهود مصر الركيزة التى اعتمدت عليها اليهودية .

شمعون ويوحنا هيركان (١٤٣ - ١٠٦ ق م) .

اقتفى شمعون أثر أخيه يوحنا ، أعنى انتهز فرصة ضعف العد فقام وحسن البلاد وقواها لتوسيع رقعتها ، وهكذا نجد شمعون يجرى البلاد نهائياً من سوريا وجعل من مملكة يهوذا دولة مستقلة كما تناهض من الحزب القدمى لذلك يوسف

عهد حكم شمعون الذي دام تقريباً تسع سنوات على أنه العصر الذهبي للبلاد إذ تمكن الشيخ أن ينعم بحياة الهدوء في خريف حياته وأخذ الشاب يفرح بشبابه والفلاح يتمتع بالجلوس تحت كرمه أو تينته .

ولسكي يؤمن شمعون نفسه من سوريا فسكر في وضع نفسه وبلده في خدمة روما عاصمة الطينيان في ذلك العصر فأرسل وفداً إلى روما راجياً وضع بلده تحت حمايتها وذلك بوضعه ضمن رابطة دول الإمبراطورية الرومانية ورجبت روما بهذه الفكرة لأنها اعتبرت أنها الخطوة الأولى للاستيلاء عليها نهائياً وأعلنت روما قرارها بضمها إلى الرابطة رسمياً عام ١٤٠ ق . م . ولم يكده يمضي قرنان على هذا الاعلان حتى طلبت روما من يهود فلسطين تكريم واحترام القيصر الروماني والدعاء له في المعبد وتلت هذه الخطوة خطوة أخرى تمت بعد ثلاثين عاماً من هذا الطلب قضت على الشعب اليهودي قتلاً وسيياً وكثيريبدأ وشاءت الأقدار أن بطليموس بن هبوب زوج ابنة شمعون اغتال شمعون عندما كان يتوم بجولة في البلاد وفي رومه روجه وأبناء الصغيران فر في رحلته بمحمن بالقرب من أريحا وهناك استقبله ابن هبوب استقبالا حسناً وأولم وليمة فاخرة لشمعون ومن معه وفي أثناءها انقض على شمعون وولديه « يزدا » و « متايا » وقبض عليهم وكان ذلك في فبراير عام ١٣٥ ق . م . أما ابنه الأكبر « يوحنا » فقد نجح لأنه كان قد تخلف . وهكذا مات آخر أبناء متياهو المكابي فلم ينجح واحداً منهم من القتل .

إلا أن « يوحنا » لما علم بالخبر سارع وأخذ زمام المبادرة لمقاومة « ابن هبوب » وإحباط رغبته في الاستيلاء على الحكم بمساعدة سوريا فقام يوحنا بعدة أعمال عسكرية ضد خصومه وبخاصة الميركانيين لذلك اشتهر باسم « يوحنا هيركانو » ثم أرسل وفداً إلى روما يعرض عليها حمايته للصدقة اليهودية الرومانية كما أشار إلى استيلاء سوريا على مينايا وغيرها فاستجابت روما إلى نداء يوحنا وأرسلت إلى انطيوخوس تطالبه بإعادة الأماكن التي استولى عليها إلى اليهود ثانية كما حذرته روما من محاولته القيام بأي عمل فدائي ضد اليهود وكان ذلك حوالي عام ١٣٣ ق . م .

واستغل اليهودى هيركان هذه الحمايم الرومانية وضعفت الجبهة الداخلية السورية وقرر توسيع رقعة حدود بلاده على حساب جيرانه من الشعوب الأخرى وفي ذلك الوقت أعنى عام ١٢٤ أرسل يهود أورشليم بزعامة المجلس الأعلى إلى يهود مصر وزعيمهم (يهودا أريستوبول والذي ينتمى إلى أسرة كهنوتية عريقة ومدرس الملك رسائل يطالبون فيها يهود مصر بالاعتراف بتطهير المعبد الأورشلمى من رجس الجويم والاحتفال سنوياً بهذه الذكرى .

ولم تقف مطامع (هيركان) أو يهود إقليم يهودا عند هذا بل نجده يدبر خطة أخرى للقضاء على الشعوب غير اليهودية المحيطة بإقليم يهودا ففي الجنوب نجد الأدوميين وفي قلب يهودا نجد السامريين الأعداء الألداء وعلى الضفة الأخرى من الأردن نجد اليونانيين ولكي ينجح هيركان في تنفيذ خطته التوسعية هذه قرر الاستعانة بجنود مرتزقة ولتمويلهم نبش قبر داود واستولى على ما به من ثروة وبدأ بالأردن فاستولى على مدينة مادبا Medaba و (ساميجاس Samegas) على بحيرة طبرية ثم أخذ يستولى على المدن السامرية تدريجياً فحطم (زيشيم Sichern) والمعبد القائم على جبل • جريزيم Garizim (وأخذ اليهود يحتفلون سنوياً بيوم الاستيلاء على هذه البلاد وتحطيمها .

ولم يكتف اليهود بالاستيلاء على هذه البلاد بل أجبروا الأدوميين على اعتناق اليهودية وحطموا ما بدهم الأخرى وهكذا نجد اليهودية بزعامة (يوحنا هيركان) تضيق ذرعاً بالمقائد الأخرى فتقضى عليها .

وترتب على إرغام الأدوميين على اعتناق اليهودية بعد الاستيلاء على بلادهم إن اندلعت نيران الحرب ثانية بين اليهود وبين السامريين وذلك لأن أغلبية سكان مدينة السامرية كانوا من اليونانيون أو السوريين وإمعاناً في اضطهاد المغلوبين نقل اليهودى • يوحنا هيركان (عددًا من الأدوميين الذين أجبروا على اعتناق اليهودية من إقليم (ماريسا) إلى إقليم سماريا فدفن هذا

العمل الانتقامى سوريا إلى الانتقام من اليهود فهاجوا إقليم يهوذا واستولوا على عدة
 أماكن ساحلية ومن بينها « يافا » فشكا اليهودى « هيركان » السوريين لدى روما
 حامية اليهودية واستجابت روما لتوسلات اليهود فهاجم اليهود سامريا واستولوا
 عليها بعد حصار طويل شديد وساواها بينها وبين الأرض فلم يترك اليهودى منزلاً
 قائماً وعموا معالم المدينة نهائياً وكان ذلك حوالى عام ١٠٩ ق.م. وهكذا استطاع
 اليهود بمساعدة روما الارتقاء بقدراتهم إلى مستوى جيرانهم من حيث القوة والمكانة
 إذ انتصر اليهود على جيرانهم الذين كانوا يهددونهم فالتفت رقة إقليم يهوذا بعد أن
 كسر اليهود الحصار المضروب حولهم وزحف اليهود إلى العالم الخارجى فنمت
 زوتهم وازداد خطرهم وبخاصة لما سقطت طرق القوافل بين مصر وسوريا في أيديهم
 وانهز يهود مصر الشحاء التي قامت بين ملك مصر « بطلميوس لاثوروس Ptole
 maens Lathuros » ووالدته التي كانت تنازعه على عرش مصر واضطرته إلى
 الهرب إلى قبرص وأخذت ترميه بالجيش وراء الجيش للقضاء عليه نهائياً إلا أن
 الجيوش المصرية انضمت هناك إلى الملك فما كان من أمه إلا أن سیرت إليه جيشاً
 يهودياً مصرياً تحت قيادة « هلشيا Helkia » و « أنانيا Anania » ابني
 « أونياس » فحققا رغبة أم الملك التي كانت خاضعة لنفوذ وتوجيه يهود مصر الذين
 يديرون الخطة لإضعاف مصر وشل يديها عن تقديم مساعدة لأصدقائها في فلسطين
 وسوريا وهكذا نجد يهود مصر يعملون مع يهود إقليم يهوذا يداً واحدة لتحقيق
 هدف مشترك الا وهو الاستيلاء على أكبر رقة في الشرق أولاً وإضعاف جيران
 اليهود الذين قد يهددونهم ثانية وخصوصاً بعد أن تعلم اليهود من جيرانهم فنون
 الحرب والتسليح وإقامة الحصون وضرب النقود وزخرفة الممار فقد شيدت الأسرة
 الحشمونائية قصراً ضخماً على الطراز اليونانى وأمامه قاعة تعرف باسم كسيستوس
 Xystos لمقد الاجتماعات الشعبية وفي مدينة مادبا وطن الأسرة أقيمت مقبرة من
 الرخام على الطراز اليونانى . وفي هذا العهد ظهرت الفرق الدينية المختلفة الأوهى
 الحسيديم والاساة والفريسيين والصدوقييم .

أما الفريسيون قد اشتقوا اسمهم من اهتمامهم بتفسير الشريعة وعن هذا التفسير أثبتت قوانين أخرى وشعارهم المحافظة على اليهودية أعنى الشريعة واحترام سنن السلف الصالح وأي انحراف عن أصل الشريعة أو السنة يعتبر كفراً .

أما الصدوقيون فكانوا يقولون بمذهب النجاسة تبرير الوساطة فالمسائل الدينية يجب الانتقافية في سبيل تحقيق غاية سياسية ويسخر الفريسيون منهم ويقولون ويقدررون فتضحك الاقدار فقدرات الدولة والأفراد لا تتوقف على الناس بل على الله فأذن لاداعي للانحراف فلا القوة البشرية ولا الذكاء البشرى ولا القوة العسكرية تقرر حاضر الشعب اليهودى أو مستقبله بل إرادة الله هى الأولى والأخيرة ، وهكذا تصطدم الفرقتان الدينيتان حول كثير من المسائل الدينية والدينية والشواب والعقاب .

ثم نجد طائفة الصدوقيين تسلك طريقاً سياسياً خاصاً وذلك لأن معظم أعضائها من أغنياء اليهود ورجال الجيش والسياسيين الذين جموا كثيراً من الثروات والتجارب نتيجة أسفارهم واتصالاتهم بالعالم الخارجى وكان شعارهم الوطن أولاً والدين ثانياً وهم يؤمنون بأن الإيمان بالله والتمسك بشريعته لا يكفيان لضمان سلامة واستقلال الدولة اليهودية ، ويقول الصدوقيون إن منح الفرد حرية الإرادة ليختار الوسيلة التى تلائمها لكي يعيش حياة سعيدة فالإنسان هو سيد نفسه وسيد مقدراته والله لا يتدخل فى المسائل الخاصة بالبشر أما الشواب والعقاب فيناله الفرد من النتيجة التى تأتية من عمله ولا ضرورة لأن يؤمن الإنسان بالبعث بعد الموت. وفيما يتعلق بالشريعة وما إليها ووجوب احترامها والعمل بها فالصدوقيون يؤمنون بالشريعة المكتوبة فقط والواردة فى الأسفار الخمسة الأولى أعنى التوراة أما الأحكام الأخرى التى جاءت عن طريق الرواية أو نشأت فى عصور أخرى فلا قيمة لها ولا الفرد غير مطالب بالإيمان بها أو احترامها . فالفرق الرئيسى بين الصدوقيين والفريسيين يتناول المسائل القضائية والطقوس وأن اختلفت الطائفتان حول الطقوس المتعلقة بالعبادة .

وغير هاتين الطائفتين ظهرت طائفة «الإساة» وهي أصلاً امتداد للحشمونائيم الذين كانوا يعنون بصفة خاصة بتقديس السبت حتى حرموا على أنفسهم الغائط والبول يوم السبت، كما تخلصوا من الرذائل وملأوا الحياة وكانوا ملتزمين جداً حتى أن مجرد ملامسة شخص آخر يخالفهم يعتبر نجاسة تلزمهم الطهارة أو تقديم القرابين، لذلك كانوا يعتمدون عن المرأة حتى كأنهم يحرمون الزواج وكانوا ضد الحرب وينفرون من الجنود حتى العائدين منهم من المعركة الذين نجستهم جثث الموتى لذلك اختاروا لإقامتهم أما كن نائية عن الناس فأقاموا في الصحراء الواقعة غرب البحر الميت في واحة «عين جدى» كما رفضوا الملكية الفردية وذلك لأن كل فرد منهم يعيش في الجماعة والجماعة تعمل متعاونة للحياة وكانوا يلبسون ملابس بيضاء ويحمل كل فرد منهم جاروفاً حتى إذا اضطر إلى إخراج شيء من السليلين شق الأرض. وطى كل فرد أن يستحم كل صباح كما يفعل الحاخام قبل الصلاة تأكيداً لطهارة جسده.

وحدث أن «هيركان» الحشمونائي ناصر الصدوقيين على الفريسيين فغضب هؤلاء ومن ورائهم الشعب المتدين فدب بغض الشعب للحشمونائيم. وتوفى «هيركان» عام ١٦٠ ق م. وقد بلغ الستين عاماً وترك خمسة أولاد (أريستوبول) و (أنتيجونوس) و (السكندر) و (أسلون) ولا نعرف إسم الخامس. وبعد وفاته دب الشقاق بين اليهود كما حدث من قبل عقب وفاة سليمان بن داود.

خلفاء هيركان أريستوبول :

لما حضرت «يوحنا هيركان» الوفاة عين زوجته ملكة، وإبنة الأكبر «يهودا» أو كما يعرف في اليونانية بإسم «إريستوبول» كبيراً للحاخاميين، فطرد أمه من العرش وجمع هو بين الوظائف. ولم يكن «أريستوبول» بطرد أمه من العرش بل رَجَّح بها في السجن وممهاً ثلاثة من إخوته ولم يرع إلا أخاه «أنتيجونوس» الذي كان يتفق معه في مشاريعه ونظرته إلى الحياة وآرائه السياسية فأشركه معه في الحكم وسار سيرة أبيه فخاصم الفريسيين وأقصاهم عن نشاطهم فبغضه الشعب ونفر منه اليونان وأنصار الثقافة الهلينية فرأى اليونان فيه للصفة اليهودية الوضيعة بينما

تبين اليهود فيه غلظة القلب والقسوة، وقد ترك أمه في السجن تموت جوعاً، كما يقال أيضاً أنه دبر قتل أخيه « إتييجونوس » غيرة منه .

وأراد « إريستوبول » توسيع رقعة بلاده فمد حدود إقليم يهوذا شمالاً بشرق حتى بلغت مشارف دمشق، واقتنى أثر والده يهود الشعوب التي غالبها على أمرها . ومات إريستوبول بعد أن ملك سنة واحدة فقط (١٠٦ - ١٠٥) ق . م .

فجلس على العرش أخوه الأصغر « يونانان » أو كما يسمى أحياناً مختصراً « ينای » أو في اليونانية « الكسندر » وتزوج من « سالومي » التي تسمت فيما بعد « الكسندرا » . ورغب في الاستيلاء على بعض المدن الساحلية فاستولى على ميناء « بطليموس يهوذا » وهي قريبة من « عكا » الحالية، فلجأ سكانها إلى مصر فاتهبه الأمير « بطليموس لاثوروس » هذه الفرصة وسارع لتوسيع رقعة ممتلكاته وكان قد استولى على قبرص بسبب الحرب التي نشبت بينه وبين أمه ورغب « لاثوروس » الاقتراب من مصر براً فسارع وأرسل ثلاثين ألف مقاتل إلى شاطئ إقليم يهوذا، فضرب الجيش اليهودي ضربة قاضية، فقتل من قتل وأسره منه كثيرين كما هرب آخرون وانتقم لنفسه لا من الأسكندر فقط، بل من اليهود أنفسهم، وبخاصة فإن يهود مصر كانوا قد ضايقوه كثيراً بخياناتهم وعدائهم له فهم الذين حرضوا أمه كليوباتره عليه وأوهوها أنه بعد أن يفرغ من فتح يهوذا سينتفضعها في مصر ويستولى عليها، فعباة جيشاً قوياً تحت قيادة قائدين يهوديين وهما « حلقيا » و « ايننا » ابني « أونياس » الذين سارا بهذا الجيش إلى يهوذا وسوريا طامعين في الثأر لليهود الذين نكل بهم « لاثوروس » تنكيلاً جباراً واصطدم الجيشان وقتل « حلقيا » وانتصر « عنيانا » وجيش مصر على « لاثوروس » ورغب يهود مصر من كليوباترة تجريد الاسكندر من العرش وضم أملاكه إلى مصر إلا أن كليوباتره رفضت هذا الاقتراح يقيناً منها أن مثل هذا الضم قد يفهم أنه استيلاء على إقليم يهوذا فيتماون يهود مصر وغيرها مع أعدائها للقضاء عليها لذلك رأت الإبقاء على الاسكندر وعقدت معه معاهدة دفاع مشترك حوالى عام

٩٨ ق م . للدفاع عن مملكة يهوذا ضد أى عدوان خارجى . إلا أن الاسكندر سلك مسلكاً أثار عليه طائفة الفريسيين لاستهتاره بطقوس المعبد نشأ عنه ضعف فى الجبهة الداخلية وتصدع خطير ، ومما زاد الطين بله جنونه بحب التوسع والتزو وما أغضب الملك النبطى العربى «عبيدة» فانقض على الاسكندر بم جيش قدم به من شرق الأردن فأباد الجيش اليهودى ولم ينج الاسكندر من الموت إلا هرباً إلى اورشليم فزادت هذه الهزيمة من إشاعة الفوضى ، فاندلعت الثورات الداخلية طيلة ستة أعوام (٩٤ - ٨٩) ق م . ولم يستطع الاسكندر القضاء على الاضطرابات الداخلية إلا بفضل الجنود المرتزقة . ولما أعيته الحيلة طلب مصالحة الفريسيين فأبوا إلا قتله واتفق الفريسيون مع الملك السورى «ديمتريوس أويكاروس Demetrios Eukaeros» على احتلال البلاد فهرب الاسكندر من وجه الجيش السورى وهام على وجهه فى جبل إقزاييم ، ثم جمع حوله نفرأ من أنصاره وأسر عدداً من الفريسيين وصلبهم كما قتل نساءهم واطفالهم وإبان هذه المذبحة التى صلب فيها نحو ثمانئة رجل فأنارت هذه المذبحة وهذا الصلب خلق القوم حتى لقبوه بامم طرازير «Thrazier» كما هرب من وجهه عدد كبير من اليهود الى سوريا ومصر .

ولما حضرته الوفاة عين امرأته ملكة وأحاطها بجماعة من المستشارين الذين يتولون زمام الأمور وأوصى الملكة بأنه عندما يفارق الحياة تسلم جثته للفريسيين الذين ناصبهم العداوة طيلة حياته ، والفريسيون إما ينتقمون من جثته فيشبعون شهوتهم الانتقامية أو يغفرون له ذنوبه ويوارونها التراب حسب الطقوس الشرعية، وقال جملته شهورة « لا تخف للفريسيين الصادقين ولا الخصوم الحقيقيين بل أخشى المنافقين المن الجائنين . » .

آخر ملوك الحشمونائيم (٦٩ - ٢٧) ق م :

لاشئء يجعل بزوال الدولة مثل التنازع على الرئاسة ونحريض كل طائفة شعبية على الأخرى وإقحامها فى هذه التنازعات التى تضصف الأمة وتمسكن عدوها منها .

فقد قررت الملكة « سالومي الكسندرا » وهي تعانى سكرات الموت التنازل عن العرش لابنها البكر، الا وهو « هيركان الثانى » عملاً بالشريعة الموسوية وقد اشتهر هذا الرجل بطيبة القلب مع ضعف فى الإرادة بخلاف أخيه الأصغر « أريستبول الثانى » الذى كان يشبه أباه قسوة ووحشية إذ لم تكفد تغمض الملكة عينها ويتولى « هيركان » الملك إلا وهجم « أريستبول » يعاونه الصدوقيون على أورشليم لإزالة أخيه من على العرش والذى كان يسانده الفريسيون والشعب والجنود المرتزقة الذين كانت تمولهم الملكة ، وتنفق عليهم وقد نجح « أريستبول » فى القبض على امرأة أخيه الملك وأولاده وأخذهم رهينة . وفى أريحا التقى الاخوان المتنازعان على رأسى جيشيهما وخسر « هيركان » المعركة وهرب إلى أورشليم وذلك لأن معظم المرتزقة هربوا وانضموا إلى أريستبول « الذى نجح أيضاً فى الاستيلاء على المعبد وأسرى خصومه الذين كانوا لاذوا به ، وأصبح أريستبول سيد العاصمة والمعبد وهكذا ضاع العرش الذى جلس عليه هيركان ثلاثة شهور فقط وضماناً لاستقرار الأمر اقترن ابن (أريستبول) المسمى (الكسندر) بابنة (هيركان) السماء (الكسندرا) وهكذا انتصر الصدوقيون على الفريسيين .

وشر (أريستبول) بالخطر الذى قد يقضى عليه إذا ما تمكن الصدوقيون من الانتقام من الفريسيين أو محاولة فرض تعاليمهم على سائر اليهود بالقوة . وشاءت الأقدار أن أحد الأدوميين الذين هودم قوة واقتهاراً « يوحنا هيركان » وسنحت له الفرصة للانتقام لبنى جنسه . وهذا الأدوس هو « انتيباتر Antipater » بن « انتيباس Antipas » من أسرة أدومية كريئة وكان ثرياً ذكياً وسياسياً عظيماً حتى عينه الاسكندر حاكماً على إقليم أدوميا فكان يتمتع بحب الجميع من آدوميين وغيرهم من الأنباط وسكان قطاع غزة وعسقلون كما وقع اختيار « هيركان » عليه ليكون مستشاره الخاص بمد أن فقد صولجه ونصح « انتيباتر » الأدوى للملك الخلع أن يحتكم بخصوص عرشه الضائع إلى شخصية أجنبية ولتكن شخصية « أريستبول Aretas » ملك النبط ، وهرب كل من « أنتيباتر » و« هيركان » من أورشليم

إلى (بطزة) عاصمة الملك النبطي (أريتاس) ورجاه (هيركان) أن يناصره لاسترداد عرشه الشرعي، فإذا ما تم له هذا فإنه سيتنازل للملك النبطي عن اثني عشر مدينة تقع في شرق وجنوب غرب البحر الميت فتتحرك (أريتاس) على رأس جيش من خمسين ألف مقاتل إلى مملكة يهوذا والتحم عام ٦٦ ق. م. بجيش (أريستوبول) وهزمه واضطر (أريستوبول) إلى الهرب إلى أورشليم فلاحقه (أريتاس) للاستيلاء على أورشليم، فلم يسكده يهود أورشليم يروونه حتى هربوا من أورشليم، ولجأ معظمهم إلى مصر .

وانتهزت روما هذه الحرب وكانت في ضيق مالي فساومت الملكين اليهوديين المتنازعين، أعفى (هيركان وأريستوبول) على المسارعة إلى تقديم الذهب اللازم إلى القائد الروماني (سكوروس) فقدم «أريستوبول» كمية وفيرة من النقود الذهبية بينما اقتصر «هيركان» على بذل الوعود، لذلك سارع «سكوروس» وطالب «أريتاس» بفك الحصار عن أورشليم وإلا سيتعرض لانتقام روما التي كانت تخشى زيادة قوة الملك النبطي العربي «أريتاس» وكان ذلك عام ٦٥ ق. م، واغتر «أريستوبول» واعتقد أنه سيد الموقف والملك القوي وقد داعبه هذا الغرور عامين (٦٥ - ٦٣ ق. م) إذ هاجم القائد الروماني «بومبيوس» أورشليم واحتل مملكة يهوذا وهكذا نجح كفاح المكابيين ضد السوريين ثم تلاشى في أواخر عهدهم وتم للرومان احتلال البلاد واستعباد اليهود وانتهز «هيركان» هذه الفرصة ولجأ إلى روما طالباً منها التحكيم بينه وبين أخيه وبخاصة فقد جرد «بومبيوس» الملك «هيركان» من لقبه الملكي واحتفظ بلقب الحاخام الأكبر و «أمير الشعب» ووضعه تحت سيادة «انتياثر» الأدمي الذي عينته روما حاكماً على البلاد وفرضت جزية على اليهود .

والآن تساءل ما نوع الجزية التي فرضتها روما على اليهود؟ لم تسكن هذه الجزية من نوع الذي جرت عادة الرومان عليه، وليست الجزية التي كانت تفرضها على الشعب المنهزم أعني تأميم الأراضي الزراعية والحدائق والراعي مع تركها لأصحابها يستغلونها

كمتأجرين فقط على أن يوردوا بعض محصولها نظير الاتفاقيات - أ أو تركت بعض الأراضي لأصحابها الذين أدوا خدمات للرومان أو منحت روما أراضي الذين اوقفوا في الأسر الآخرين يستغلونها ؟

والواقع أن شراهم الرومان في امتلاك الأراضي تفوق كل شراة وذلك لأن الرومان لما أخضعوا البلاد اليهودية واستولوا عليها ففتتوها إلى ملكيات صغيرة وعادوا بها إلى ما كانت عليه قبل الحكم الحشمونائي ، كما أعلن « بومبيوس » أن جميع الموانى أو المدن الساحلية والتي تقطنها جاليات يونانية مدن حرة وتركها لسكانها كذلك الحال إمع كثير من المدن الداخلية أو الواقعة على الضفة الأخرى للاردن كما استقطع من قليم يهوذا كثيراً من المدن مثل « مامريا وبيت شان » ومدن أخرى في وادى يزرعتل ضم مملكتها إلى سوريا ، كما ساق « بومبيوس » بعد انتصاره على أورشليم « أريستبول » وابنه « أنتيجونوس » وابنتيه وعمه « أفسالون » إلى روما لينضموا إلى مسيرة الأمراء الذين هزمهم « بومبيوس » وأسرمهم ، والذين طلب إليهم أن يسيروا أمام عربة « بومبيوس » في مسيرة النصر عام ٦١ ق م .

فهؤلاء اليهود الذين عرفوا روما عن طريق الأسر وجدوا ولا شك يهوداً آخرين فيها وفدوا من مصر وكانوا يعملون في تجارة الغلال بين مصر وروما وقد كانوا يقيمون على الضفة اليمنى لنهر التيمبر المواجهة لجبل الفاتيكان . وما كادت الحياة تدب في هؤلاء اليهود حتى أخذوا يتدخلون في توجيه الرأي العام الرومانى إلى مصالحهم مما اضطر أمثال « أبولونيوس مولو » وتلميذة « شيشرون » إلى بذل الجهود لمقاومة هذا الخطر اليهودى وبخاصة في دفاعه في قضية « فلاكوس Flaccus » فقد هاجم شيشرون اليهود وأنصح عن غرائزهم الشريرة وجرائمهم الشنيعة .